الكاتدرائيَّة المرقسيَّة بالإسكندريَّة
الأحد ٢٤ نوفمبر ٢٠١٣م

عبادتُنا اللِّيتورجيَّة هي ترتيلُ عقائِدنا الإيمانيَّة

المحاضرة الخامسة

الرَّاهب أثناسيوس المقاري

(٧)
التَّجسُّد الإلهي في النُّصوص اللِّيتورجيَّة

القُدَّاس الباسيلي ....

- ''نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصَّالح، والرُّوح القُدُس، لأنك **أتيتَ وخلَّصتنا**''.
- ''فلنسجد لمخلِّصنا محب البشر الصَّالح، لأنه تراءف علينا **وأتى وخلَّصنا**''.
- ''**الظُّهور المحيي** الذي لابنك الوحيد، ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح''.
- ''أنت ياربُّ الذي **طأطأت السَّموات ونزلت، وتأنَّست من أجل خلاص جنس البشر**''(صلاة الخضوع للابن).
- ''**تجسَّد وتأنس وعلَّمنا طُرُق الخلاص**''.
- ''هذا الذي (يسوع المسيح) **من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السَّماء، وتجسَّد من الرُّوح القُدُس، ومن مريم العذراء. وتأنس**'' (قانون الإيمان).
- ''**الكائن في حضنه الأبوي كلَّ حين، أتى وحلَّ في الحشا البتولي غير الدِّنس، ولدته وهي عذراء، وبتوليَّتُها مختومة**''.

القُدَّاس الغريغوري ....

- ''**أنت الذي أتى إلينا بجسده غير المتغيِّر، وملأت الكُل بلاهوتك غير المحصور**''.
- ''أردتَ أن تجدِّده (أي الإنسان) وتردَّه إلى رُتبته الأولى، لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبيًّا ائتمنتهم على خلاصنا. بل **أنت بغير استحالة، تجسَّدتَ وتأنَّست، وشابهتنا في كلِّ شيء ما خلا الخطيئة وحدها، وصرتَ لنا وسيطاً مع الآب، والحاجزَ المتوسط نقضته، والعداوةَ القديمةَ هدمتها. وأصلحتَ الأرضيِّينَ مع السَّمائيِّين، وجعلتَ الاثنين واحداً، وأكملتَ التَّدبير بالجسد**''.
- ''من أجل **تنازلك غير الموصوف**، ومحبَّتك للبشر، لم تحرق الدَّافع[1] الغاش **`ⲙⲡⲉⲕⲣⲱⲕϩ `ⲙⲡⲓ`ⲡⲣⲟⲇⲟⲧⲏⲥ`** عندما دنا منك، بل قبَّلته بقُبلة المصاحبة **ⲙⲙⲉⲧ`ϣⲫⲏⲣ`** ، جاذباً إيَّاه إلى التَّوبة ومعرفة جسارته'' **ⲛ̀ⲣⲉϥⲉⲣ`ⲭⲣⲟϥ`**.
- ''**أنت الكائن في كلِّ زمان، أتيت إلينا على الأرض. أتيتَ إلى بطن العذراء. أيها الغير المحوى، إذ أنت الإله، لم تُضمر اختطافاً أن تكونَ مساوياً لله، لكن وضعت ذاتَك وأخذت شكلَ العبد، وباركتَ طبيعتي فيك**''.
- ''الذي **من قِبَل تجسُّدِك غيرِ المدرَك، أعددت لنا خُبزاً سمائياً، جسدَك المقدَّس، هذا السِّري والمقدَّس في كلِّ شيء**''.

القُدَّاس الكيرلُّسي ....

- ''فليهرُب عنَّا ... الافتخارُ والشَّرُّ الأوَّل الذي هو العظمة، **من أجل الذي اتضع وحدَه من أجلنا**''.

صلوات القسمة ....

- ''**الكائن في حضنه الأبوي كلَّ حين، أتى وحلَّ في الحشا البتولي، غير الدِّنس. ولدته وهي عذراء وبتوليَّتُها مختومة**''.
- ''أنت هو الله الرَّحيم مخلِّص كلِّ أحد، **الذي تجسَّد لأجل خلاصنا، الذي أضاء لنا نحن الخطأة**''.
- ''الذي **تجسَّد وتأنَّس من أجل خلاص جنس البشر**، ودعا له من جميع الأُمم جنساً مختاراً مملكة وكهنوتاً، وأُمَّة مقدَّسة، وشعباً مبرراً''.
- ''نسبِّح ونمجِّد إلهَ الآلهة وربَّ الأرباب، **الذي تجسَّد من القدِّيسة مريم وولدته في بيت لحم**''.

١- في القُدَّاس الكيرلُّسي: ''لكي إذ نعطي قُبلة روحيَّة، نهرب من شبه يهوذا الدَّافع''.

في الثّيؤطوكيَّات .....

- اسمُ الخلاص الذي ليسوعَ المسيح، **هذا الذي تجسَّد منك بغير تغيير، وصار وسيطاً لعهد جديد.**
- **تجسَّد منك بغير تغيير**، بجسد ناطق مساوٍ لنا، كامل، وله نفسٌ عاقلة. **بقى إلهاً على حاله، وصار إنساناً كاملاً.**
- **واحدٌ من اثنين، لاهوتٌ قدوسٌ بغير فسادٍ مساو للآب، وناسوتٌ طاهر بغير مضاجعة مساو لنا كالتَّدبير. هذا الذي أخذ شبهنا ما خلا الخطيئة وحدها.**
- **الكائن الذي كان، الذي أتي وأيضاً يأتي، يسوعُ المسيح الكلمة، الذي تجسَّد بغير تغيير وصار إنساناً كاملاً. لم يفُض ولم يختلط ولم يفترق بشيء من الأنواع من بعد الاتحاد، بل طبيعة واحدة، وأقنوم واحد، وشخص واحد لله الكلمة.**
- **لأنَّ الذي وُلد إلهٌ بغير ألم من الآب، وُلد أيضاً حسب الجسد بغير ألم من العذراء. هو اتحاد الاثنين، لاهوت وناسوت.**
- **الواحد من الثَّالوث، المساوي للآب في الجوهر، لَّما نظر إلى ذُلنا وعبوديَّتنا المُرَّة، طأطأ سماء السَّموات وأتى إلى بطن العذراء، وصار إنساناً مثلنا ما خلا الخطيئة وحدها.**
- **وبعد أن صار إنساناً هو الإله أيضاً، فلهذا ولدتَه وهي عذراء.**
- **لم يزل إلهاً، أتى وصار ابنَ بشر، لكنَّه هو الإلهُ الحقيقي، أتى وخلَّصنا.**
- **غيرُ المتجسِّد تجسَّد، والكلمةُ تجسَّم، غيرُ المبتدئ ابتدأ، وغير الزَّمني صار زمنياً. غير المُدرَك لمسوه، وغير المرئي رأوه، ابنُ الله الحي صار بشرياً بالحقيقة.**
- **السَّلام لبيت لحم، مدينةُ الأنبياء التي وُلد فيها المسيح آدمُ الثَّاني**، لكي يردَّ آدمَ الإنسان الأوَّل التُرابي إلى الفردَوس، ويحلَّ قضيَّة الموت؛ إنك يا آدم ترابٌ وإلى التُّراب تعود. حلَّ الحاجز وقتل العداوة بالكمال، ومزَّق كتابَ يد العبوديَّة الذي لآدم وحواء وحرَّرهما.
- أتيتَ إلى العالم بمحبَّتك للبَّشر، وكلُّ الخليقة تهلَّلت بمجيئك، خلَّصت آدم من الغواية، وأعتقت أُمَّنا حواء من طلَقات الموت، وأعطيتنا روح البُنوَّة، نسبِّحك ونباركك مع ملائكتك.
- هو أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له، نسبِّحه ونمجِّده ونزيده علواً.
- يا لعظم أعجوبة، أُخذ الضِّلع من جنب آدم، وجُبلت منه امرأة. **كلُّ عجينة البشريَّة أعطتها بالكمال لله الخالق وكلمة الآب، هذا الذي تجسَّد منها بغير تغيير**. ولدته كإنسان، ودُعي اسمه عمانوئيل. (القطعة ٦ من ثيؤطوكيَّة الخميس).
- هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدُّوس، **وجعلنا واحداً معه** من قِبَل صلاحه. (القطعة ٣ من ثيؤطوكيَّة الجمعة).
- لأنَّ الذي على الشَّاروبيم **أتى وتجسَّد منك حتى اتحدنا به** من قِبَل صلاحه. (القطعة ٢ من ثيؤطوكيَّة الجمعة).

«هكذا نحن الكثيرين، جسد واحد في المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض، كل واحد للآخر» (رومية ١٢:٥).

«فإننا نحن الكثيرين، خُبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخُبز الواحد» (١كورنثوس ١٧:١٠).

«لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد ...» (١كورنثوس ١٢:١٣، ١٣).

«من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الرُّوح الذي أعطانا» (١يوحنا ٢٤:٣).

«وأمَّا أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١كورنثوس ٢٧:١٢).

«لأنَّ محبَّة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا، أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا» (٢كورنثوس ١٤:٥).

انظر أيضاً: يوحنَّا ٥٦:٦ ، ٤٤:٨، ٤:١٥-٦

* * *

يقول القدِّيس غريغوريوس النِّيسي (٣٣٥-٣٩٥م) قولاً مهماً:

[حيث أنَّ جسده البشري الحامل اللاَّهوت والمرتفع مع اللاَّهوت بالقيامة **لم يكن من عجينة أخرى غير عجينتنا**؛ فكما يحدث في أيِّ جسم من أجسامنا، أنَّ انفعال حاسة واحدة من الجسم ينتشر أثره في الجسم كلِّه المتَّحد بهذا العضو، **هكذا قد حدث للطَّبيعة (البشريَّة) كلِّها بصفتها كائناً واحداً حيًّا، أنَّ قيامة الواحد منها (أي الجسد الإلهي الذي من نفس عجينتنا) انتقلت منه إلى الجميع**، بسبب اتصال واتحاد الطَّبيعة كلها، حتى امتدَّت (القيامة) من الواحد إلى المجموع كلِّه!] (العظة التعليمية الكُبرى ٣٢).

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[(لمَّا) وُلِدَ جسدُه من مريم والدة الإله، قيل عنه إنه هو الذي وُلِدَ، مع أنه هو المانحُ الآخرين الميلاد ليوجدوا. وكان ذلك لكي **يحوِّل إلى نفسه ميلادَنا**، فلا نمضي فيما بعد إلى التُّراب كمجرَّد تُرابيِّين، **ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السَّماء، فإننا نُحمل إلى السَّموات بواسطته**] (ضد الأريوسيِّين ٣:٣٣).

ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م):

[كما أنه في زمان الجُبلة الأولى كان يستحيل أن يخرج الإنسان إلى الوجود ما لم يأتِ الطين بين يديِّ الخالق، هكذا أيضاً كان يستحيل تقويم الإناء البشري الذي فسد ما لم يصِرْ ثوباً للذي خلقه][٢].

أوَّلاً: دفاع بعض آباء كنيسة الإسكندريَّة عن إخلاء الله لنفسه وظهوره في الإنسان

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[لو كان حلوله في جسد أمراً سخيفاً وغير معقول، لكان أمراً سخيفاً أيضاً أن يتَّحد بكلِّ الكون ويعطي ضياءً وحركةً لكلِّ الأشياء بعنايته، **لأنَّ الكَون أيضاً جسد.**

أمَّا إن كان قد لاق به أن يتَّحد بالكَون، وأن يُعرف في الكُل، وجب أن يليق به أيضاً أن يظهر في جسد بشري، وأن يستضيء به ذلك الجسد ويعمل، لأنَّ البشريَّة جزءٌ من الكُل كسائر الأجزاء. ولو كان أمراً غير لائق أن يتَّخذ جزءاً كأداة يُعلِّم البشر بها عن لاهوته، لكان أمراً في غاية السَّخَف أن يُعرف بواسطة كلِّ الكون أيضاً.

أمَّا إن كانوا يتوهَّمون أنَّ ظهور المُخلِّص في الإنسان – الأمر الذي نتحدَّث عنه – غير لائق، لأنَّ الجنس البشري مخلوق، ومخلوق من العدم، فإنه يجب عليهم أن يُخرجوه من الخليقة أيضاً، لأنها هي أيضاً وُجدت من العدم "بالكلمة"] (تجسد الكلمة ٦:٤١، ٧ ؛ ٢:٤٢).

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[كلمة الله في طبيعة تأنُّسه ... لم يكن محصوراً في جسده، لكنَّه كان بالحري يستخدم الجسد، ولذا فإنه لم يكن حالاً فيه فحسب، بل كان حالاً فعلاً في كلِّ شيء. وبينما كان خارج الكون فقد كان في أبيه وحده مستقراً. وهذا هو وجه الغرابة أنه بينما كان يتصرَّف كإنسان، كان كلمة الله يُحيي كلَّ الأشياء، وكابن كان قائماً مع أبيه. ولذلك **عندما ولدته العذراء لم يعتره أي تغيير، ولا تدنَّس**[٣] **بحلوله في الجسد، بل بالعكس إنه قدَّس الجسد أيضاً**] (تجسد الكلمة ٤:١٧، ٥).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

٢- عظة عن ميلاد المسيح *PG* 56, 388-389

٣- وفي بعض الترجمات "احتجب مجده".

[حينما تبدو لك أمور إخلائه صعبة القبول، تعجَّب بالأحرى من عظم محبَّة الابن لنا! **لأنَّ ما تعتبره غير لائق به، هذا قد فعله بإرادته من أجلك**][٤].

ثانياً: لماذا كان يلزم لفدائنا أن يتجسَّد ابنُ الله الكلمة؟

يشرح البابا أثناسيوس الرَّسولي في كتابه "تجسُّد الكلمة" ضرورةَ تجسُّد الابن، وذلك في إجابة مطوَّلة، فيقول:

(١) هل كان يكفي فقط مجرَّد صدور أمر ملكي، بالغفران؟[٥]

[... يقولون ... إنْ كان الله قد أراد أن يُصلح البشريَّة ويخلِّصَها، وجب أن يتمِّم ذلك بمجرَّد نُطقٍ ملكي كريم، دون حاجة إلى تجسُّد "الكلمة"، أي بنفس الطَّريقة التي اتبعها سابقاً، عندما أوجدها من العَدَم.

وعن اعتراضهم هذا نجيبهم جواباً معقولاً قائلين: سابقاً لم يكن شيءٌ موجوداً على الإطلاق، فالذي كان مطلوباً لخلقة كلِّ شيء، هو **النُّطق الملكي، ثمَّ مجرَّد الإرادة لإتمام ذلك**. أمَّا وقد خُلق الإنسان، وأصبح الأمرُ يحتاج إلى علاج ما هو موجود، ووصل إلى تلك الحال لا ما هو ليس موجوداً (أي الموجود فعلاً)، لهذا السَّبب، ولكي يُبرئ الموجود، دعت الضَّرورة بطبيعة الحال، أن يظهر الطَّبيب، والمُخلِّص تأنَّس، واستخدم جسدَه أداةً بشريَّة.

وإن لم تكن هذه هي الطَّريقة المُثلى، فكيف كان ممكناً "للكلمة" – وقد اختار أن يستخدم أداةً – أن يَظهَر؟ ومن أين كان ممكناً أن يتَّخذها سوى من الموجودين فعلاً، الذين هم في حاجة إلى لاهوته بواسطة شخص مشابه لهم؟ لأنَّ **الخلاص لم يكن مطلوباً لما ليس له وجود حتى كان يكفي مجرَّد صدور أمر، ولكن الإنسان الذي كان موجوداً فعلاً، كان منحدراً إلى الفساد والهلاك**. لهذا كان طبيعياً وعدلاً أن يستخدم "الكلمة" أداة بشريَّة، ويُعلن نفسه في كلِّ مكان] (تجسُّد الكلمة ٤٤: ١-٣).

(٢) الموت والفساد قد لصق بالجسد وامتزج به. فكان مطلوباً أن تمتزج به الحياة لتبيد الموت

[ثمَّ يجب أن تعلم أيضاً، أنَّ **الفساد الذي حصل، لم يكن خارج الجسد بل لصق به، وكان مطلوباً أن تلتصق به الحياة عوض الفساد، حتى كما تمكَّن الموت من الجسد، تتمكَّن منه الحياة أيضاً**.

والآن لو كان الموت خارج الجسد، لكان من اللاَّئق أن تتَّصل به الحياة من الخارج. أمَّا وقد صار الموت ممتزجاً بالجسد وسائداً عليه، كما لو كان متَّحداً به، فكان مطلوباً أن تمتزج الحياة به أيضاً، حتى إذا ما لبس الجسد الحياة بدل الموت، نُزع عنه الفساد. وفضلاً عن هذا، فلو افترضنا أنَّ "الكلمة" جاء خارج الجسد وليس فيه، لكان الموت قد غُلب منه (من المسيح) وفقاً للطَّبيعة، إذ ليس للموت سُلطان على "الحياة"، أمَّا الفساد اللاَّصق بالجسد فكان قد بقى فيه رغم ذلك.

لهذا السَّبب كان معقولاً جداً أن يلبس المخلِّص جسداً، حتى إذا ما اتَّحد الجسد "بالحياة"، لا يبقى في الموت كمائت، بل يقوم إلى عدم الموت، إذ يلبس عدم الموت. وما دام قد لبس (الجسد) الفساد، فما كان ممكناً أن يظهر الموت إلا في الجسد وفقاً لطبيعته، لهذا لبس (المسيح) جسداً **لكي يلتقي بالموت في الجسد ويُبيدَه**. لأنه كيف كان ممكناً إقامة الدَّليلِ على أنَّ الرَّبَّ هو "الحياة"، لو لم يكن قد أحيا ما كان مائتاً؟[٦].

والمعلوم أنَّ القش تفنيه النَّار بطبيعة الحال. فلنفرض أنَّ إنساناً أبعد النَّار عن القش. فإنَّ القش ولو لم يحترق، يبقى رغماً عن ذلك مجرَّد قشٍ، يخشى خطرَ النَّار، لأنَّ للنَّار خاصيَّة إحراقِه. بينما لو أحاطه بمادة الأسبستوس – التي يُقال

٤– الدفاع عن الحروم الاثني عشر، ضد ثيؤدوريت.
٥– العناوين الجانبيَّة هي من عندي وليست من أصل النَّص.
٦– أي قابلاً للموت.

عنها[٧] إنها تصمد أمام النَّار – فإنَّ القشَّ لا يرهب النَّار فيما بعد، إذ قد تحصَّن بإحاطته بمادة غيرِ قابلة للاحتراق.

كذلك أيضاً بنفس هذه الطَّريقة يستطيعُ المرء أن يقول عن الجسد والموت، إنه **لو كان الموتُ قد أُبعد عن الجسد بمجرَّد إصدار أمر من الله، لبقى – رغم ذلك – قابلاً للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد. ولكن، لكي لا يكون هذا حالُ الجسد، فقد لبسَ الجسدَ كلمةُ الله الخالي من الجسد، ولذلك فإنه لا يعود يرهب الموت أو الفساد، لأنه لبسَ الحياة كثوب، ولأنَّ الفساد قد أُبيد فيه**] (تجسُّد الكلمة ٤٤:٤-٨).

(٣) لأنَّ صورةَ الآب – ربَّنا يسوعَ المسيح – أراد أن يجدِّد خلقة الإنسان الذي خُلق على مثال تلك الصُّورة

[إذاً فما الذي كان ممكناً أن يفعله الله؟ وماذا كان ممكناً أن يتم سوى تجديد تلك الخليقة التي كانت في صورة الله، وبذلك يستطيع البشر مرة أُخرى أن يعرفوه؟ **ولكن كيف كان ممكناً أن يتم هذا إلاَّ بحضور نفس صورة الله، ربِّنا يسوع المسيح؟ كان ذلك مستحيلاً أن يتم بواسطة البشر**، لأنهم إنما خُلقوا على مثال، ولا بواسطة الملائكة لأنهم لم يخلقوا على صورة الله. لهذا **أتى كلمة الله بشخصه لكي يستطيع – وهو صورة الآب – أن يجدِّد خلقة الإنسان على مثال تلك الصُّورة.**

ثم أنَّ ذلك لم يكن ممكناً أن يتم أيضا دون القضاء على الموت والفساد. لذلك كان لائقاً بطبيعة الحال أن يأخذ جسداً قابلاً للموت، حتى إذا أباد الموت فيه نهائياً أمكن تجديد البشر الذين خُلقوا على صورته. إذاً لم يكن كفؤاً لهذه الحاجة إلا صورة الآب] (تجسُّد الكلمة ١٣:٧-٩).

[وإن تلطخت الصُّورة المرسومة على الخشب بالأدران من الخارج وأزيلت، فلا بد من حضور صاحب الصُّورة نفسه ثانية لكي يساعد الرَّسام على تجديد الصورة على نفس اللَّوحة الخشبية، لأنه إكراماً لصورته، يعز عليه أن يلقي بتلك اللَّوحة، وهي مجرَّد قطعة خشبيَّة، بل يجدِّد عليها الرَّسم.

وعلى هذا المثال عينه أتى إلى عالمنا ابنُ الآب الكُلي القداسة، إذ هو صورةُ الآب، لكي يجدِّد خلقة الإنسان الذي خُلق مرَّة على صورته – ويجده كضال بمغفرة الخطايا، كما يقول هو نفسه في الإنجيل: «إني جئتُ لكي أطلب وأُخلِّص الضَّال» (لوقا ١٩ : ١٠). ومن أجل هذا قال أيضاً لليهود: «إن كان أحدٌ لا يولد ثانية» (يوحنَّا ٣:٣، ٥). وهو لا يقصد بهذا – كما ظنُّوا – الولادة من امرأة، وإنما قصد التَّحدُّث عن **إعادة ميلاد النَّفْس، وتجديد خلقتها على مثال صورة الله** ...] (تجسُّد الكلمة ١٤)

(٤) يجب أن يوفي اللهُ حُكمَ الموت الذي وضعه. وهل كانت التَّوبة تكفي لإيفاء مطلب الله العادل؟

[**يجب أن يكون الله أميناً وصادقاً من جهة حُكم الموت الذي وضعه.** لأنه كم يكون شنيعاً جداً لو كان الله أبو الحق يَظهر كاذباً من أجلنا ومن أجل حياتنا؟ ومرة أُخرى نقول: **أيُّ طريق كان ممكناً أن يسلكه الله؟ أيطلب من البشر التَّوبة عن تعدياتهم؟** ... ولكن التَّوبة، أوَّلاً، لا تستطيع أن توفي مطلب الله العادل لأنه إن لم يظل الإنسان في قبضة الموت يكون الله غير صادق. وثانياً، تعجز (التَّوبة) أن تغيِّر طبيعة الإنسان، **لأنَّ كلَّ ما تفعله، هو أنها تقف حائلاً بينه وبين ارتكاب الخطيئة.**

ولو كان الأمر مجرَّد خطأ بسيط ارتكبه الإنسان، ولم يتبعه الفساد، فقد تكون التوبة كافية. أمَّا وقد علمنا أنَّ الإنسان بمجرَّد التَّعدي **انحرف في تيار الفساد**، الذي كان طبيعة له، **وحُرم** من تلك النِّعمة التي سبق أن أُعطيت له وهي **مماثلة لصورة الله**، فما هي الخطوة التَّالية التي كان يستلزمها الأمر، أو من الذي كان يستطيع أن يُعيد إليه تلك النعمة، ويردَّه إلى حالته الأولى، إلاَّ كلمةُ الله الذي خلقَ كل شيء من العدم في البدء؟

لهذا كان أمام كلمة الله مرَّة أُخرى **أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت أن يوفي مطلب الآب**

٧– انظر فصل ٢٨ : ٦ ويظهر انه لم يشهد تلك المادة.

العادل المطالَب به الجميع. وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكُل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدِّد خلقة كلِّ شيء، وأن يتحمَّل الآلام عوضاً عن الجميع وأن يكون نائباً[٨] عن الجميع لدى الآب. لأجل ذلك جاء إلى عالمنا كلمة الله، الخالي من الجسد، والعديم الفساد، وغير المادي، مع أنه لم يكن عنَّا ببعيد[٩]. لأنه لم يترك شيئاً من البرايا خلواً منه، إذ هو يملأ كلَّ شيء في كلِّ مكان، وفي نفس الوقت هو كائن مع أبيه. ولكنَّه تنازل وأتى إلينا لكي يُعلن شفقته علينا ويفتقدنا] (تجسُّد الكلمة ١:٧-٥، ١:٨).

[وإذ رأى أخيراً أنَّ كلَّ البشر كانوا تحت قصاص الموت، لهذا أشفق على جنسنا، وترفق بضعفنا، ورثى لفسادنا. وإذ لم يحتمل أن يرى الموت تصير له السِّيادة، لئلا تفنى به الخليقة، وتذهب صنعة أبيه في البشر هباء، فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا.

لأنه **لم يفكر في مجرَّد التَّجسُّد، أو مجرَّد الظهور**[١٠]، وإلاَّ فلو أنه أراد مجرَّد الظُّهور لاستطاع أن يتمِّم ظهورَه الإلهي بطريقة أسمى وأفضل. **ولكنَّه أخذ جسداً من جنسنا**، وليس ذلك فحسب، بل من عذراء طاهرة بلا لوم، لم تعرف رجلاً، جسداً طاهراً وخالياً بالحق من زرع بشر. لأنه، وهو القادر على كلِّ شيء، وبارئ كلِّ شيء، أعدَّ الجسد في العذراء كهيكل له، وجعله جسده بالذَّات، واتخذه أداة له، وفيه أعلن ذاته، وفيه حلَّ] (تجسد الكلمة ٢:٨، ٣).

[وهذه كلُّها يمكن للمرء أن يتحقَّقها من كتبة الإنجيل، الذين كتبوا بإلهام الرُّوح القُدُس، إذا اطَّلع على كتاباتهم التي فيها يقولون: «لأنَّ محبَّة المسيح تحصرنا، إذ نحسبُ هذا، أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا، وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد، لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كورنثوس ١٤:٥). كما يقول أيضاً: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراهُ مكلَّلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كلِّ واحد» (عبرانيِّين ٩:٢).

بعد ذلك يبيِّن لماذا لم يكن ممكناً لأحد سوى الله "الكلمة" نفسه أن يتجسَّد (فيقول): «لأنه كان يليق به ذلك الذي الكُل به كان، ومن أجله كان الكُل، أن يأتي بأبناءٍ كثيرين إلى المجد، أن يُكمِّل رئيسَ خلاصهم بالآلام» (عبرانيِّين ١٠:٢).

وهو بهذه الكلمات يقصد أن يبيِّن أنه **لم يكن مستطاعاً لأحد آخر، أن يرد البشر عن الفساد الذي بدأ، غير كلمةُ الله الذي خلقهم أيضاً من البدء**.

ولإمكان تقديم ذبيحة عن الأجساد أخذ "الكلمة جسداً مشابهاً". والى هذا يشيرون أيضا في الكلمات التَّالية: «فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات» (١كورنثوس ٢١:١٥). «لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيصير الجميع أحياء» (١كورنثوس ٢٢:١٥).

لأنه بذبيحة جسده، وضع حداً لحُكم الموت الذي كان قائماً ضدَّنا، ووضع لنا بداية جديدة للحياة برجاء القيامة من الأموات الذي أعطاه لنا. لأنه إن كان بإنسان قد ساد الموت على البشر، لهذا السَّبب أيضاً بطُل الموت، وتمَّت قيامة الحياة بتأنُّس كلمة الله، كما يقول ذلك الإنسان الذي حمل سمات المسيح[١١]: «فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١كورنثوس ٢١:١٥، ٢٢). وهكذا نحن الآن لا نموت بعد كخاضعين للدينونة بل كأناس يقومون من الموت ننتظر القيامة العامة للجميع، التي سيبينها في أوقاتها الله، الذي أتمها، والذي وهبنا إيَّاها[١٢].

٨- أي شفيعاً.
٩- أعمال ١٧ : ٢٧
١٠- أنظر فصل ٤٣ : ٧
١١- غلاطية ٦ : ١٧
١٢- ١تيموثاوس ٦ : ١٥

إذاً فهذا هو السَّبب الأول الذي من أجله تأنس المُخلِّص] (تجسد الكلمة فصل ١٠).

(٥) لأنه أيَّة منفعة للبشر إن لم يتعرَّفوا على فكر الآب الذي أوجدهم للحياة؟

[**لأنه أية منفعة للمخلوقات إن لم تعرف خالقها؟** أو كيف يمكن أن تكون عاقلة بدون معرفة كلمة و(فكر) الآب الذي أوجدهم في الحياة؟ لأنه إن كانت كلُّ معلوماتهم محصورة في الأمور الأرضيَّة، فلا شيء يميِّزهم عن البهائم العديمة النُّطق. نعم و**لماذا خلقهم الله لو كان لا يريدهم أن يعرفوه؟** وتفادياً لهذا، أعطاهم الله بصلاحه نصيباً من صورته – ربِّنا يسوع المسيح – وخلقهم على صورته ومثاله، **حتى إذا ما رأوا تلك الصورة أي كلمة الآب، استطاعوا أن يكوِّنوا فكرة عن الآب، وإذا ما عرفوا خالقَهم عاشوا الحياة الحقيقيَّة السَّعيدة المبارَكة**] (تجسُّد الكلمة ٢:١١، ٣).

[رُبَّ امرئ يقول: إنه كان ممكناً له (أي للابن) أن يُعلن الحق عن الآب مرَّة أُخرى بنفس الوسيلة السَّابقة، **أي بأعمال الخليقة**. ولكن هذه لم تعُد وسيلة مضمونة، بل بالعكس، إنَّ البشر سابقاً رفضوا أن يُبصروها، و لم يعودوا يشخصون بأبصارهم إلى فوق بل إلى أسفل.

لهذا إذ ابتغى منفعة البشر، كان طبيعياً أن يأتي إلينا كإنسان، آخذاً لنفسه جسداً كسائر البشر، **ليعلِّمَهم مِن الأمور الأرضيَّة – أي بأعمال جسده – حتى يستطيع من لا يدرون أن يعرفوه من أعمال عنايته، وسلطانه على كلِّ الأشياء، أن يبصروا الأعمال التي عملها بجسده الفعلي، ويعرفوا كلمةَ الله الحال في الجسد، وفيه يعرفون الآب**] (تجسُّد الكلمة ١٤).

[لأنه **إذ انحط فكر البشر نهائياً إلى الأمور الحسيَّة فقد توارى "الكلمة" بظهوره في الجسد، لكي يستطيع كإنسان أن ينقل البشر إلى ذاته**، ويركز إحساساتهم في شخصه. وإذ يتطلَّع إليه البشر كإنسان، فإنه يُقنعهم بالأعمال التي عملها أنه ليس مجرَّد إنسان بل هو إله أيضاً، وكلمة الله الحق وحكمته.

ولهذا السَّبب أيضا فإنه لم يُتمِّم ذبيحته عن الكُّل بمجرَّد مجيئه مباشرة بتقديم جسده للموت وإقامته ثانية، لأنه لو فعل ذلك لجعل ذاته غير ظاهرة. ولكنَّه صير نفسه ظاهراً جداً بالأعمال التي صنعها وهو في الجسد. بهذه الأعمال التي عملها، والعلامات التي أظهرها، لم يعد معروفاً بعد كإنسان، بل كالله "الكلمة"] (تجسُّد الكلمة ٧:١٥، ١:١٦، ٤).

[**كلُّ هذا قد سُرَّ المُخلِّص أن يفعله، حتى بعد ما عجز البشر عن إدراك عنايته المعلَنة في الكون، أو عن إدراك لاهوته المعلَن في الخليقة، يستطيعون على أيِّ حال أن يستردوا بصيرتهم من أعمال جسده، ويحصلوا بواسطته على معرفة الآب**. ويتبيَّنوا – كما قلتُ – من بعض حالات خاصة، عنايته بالكُل. لأنه من ذا الذي يرى سلطانَه على الأرواح النَّجسة أو من ذا الذي يرى الأرواح النَّجسة تعترف بأنه هو ربُّها، ويشك بعد ذلك في أنه هو ابنُ الله وحكمتُه وقوتُه؟] (تجسد الكلمة ١:١٩، ٢).

ويلخِّص البابا أثناسيوس هذا الأمر كله، بقوله:

[لقد أوضحنا جزئياً – **على قدر الاستطاعة وعلى قدر ما أمكننا فهمه** – سبب ظهوره في الجسد، أنه لم يكن ممكناً أن يحوِّل الفاسد إلى عدم فساد إلاَّ المُخلِّص نفسه، الذي خلق من البداية كلَّ شيء من العدم[١٣]. و لم يكن ممكناً أن يُعيد للبشر صورة الله ومثالَه إلاَّ صورة الآب. و لم يكن ممكناً أن يلبس المائت عدم الموت إلاَّ ربُّنا يسوع المسيح الذي هو الحياة. و لم يكن ممكناً أن يُعلِّم البشر عن الآب، ويقضي على عبادة الأوثان إلاَّ "الكلمة"

١٣– يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير: [**أليس من الواضح تماماً ولا يخفى على أحدٍ أنَّ الابن الوحيد صار مثلنا، أي إنساناً كاملاً، لكي يعتق جسدنا الأرضي من الفساد الذي اندس فيه؟**] (حوار في تجسُّد الابن الوحيد).

الضابط الكل، الذي هو ابن الآب الوحيد الحقيقي] (تجسُّد الكلمة ٢٠:١).

إلى هنا تنتهي إجابة السؤال المطروح بحسب تعليم البابا أثناسيوس الرَّسولي في كتابه ''تجسُّد الكلمة''.

ثالثاً: غايات أُخرى لتجسُّد ابن الله في كتابات آباء الكنيسة

(١) ليجعل الإنسان قادراً على تقبُّل اللاَّهوت

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[الكلمة صار جسداً، **لكي يجعل الإنسان قادراً على تقبُّل اللاَّهوت**][١٤].

ὁ Λόγος σὰρξ ἐγένετο[15], ἵνα τὸν ἄνθρωπον δεκτικὸν[16] θεότητος ποιήσῃ.

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[**لَّما قَبِل** (الرَّب) **الرُّوح القُدُس** (في الأردن)، **كنَّا نحن الذين نقبله بواسطته**][١٧].

ويقول القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي:

[**إذ نُختم (بالرُّوح القُدُس) فمن الطَّبيعي أن نصير «شركاءَ الطَّبيعة الإلهيَّة»** كما يقول بطرس (٢بط ١ : ٤)، وهكذا فكلُّ الخليقة تشترك في الكلمة بالرُّوح ...][١٨].

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[(المسيح) يقول: ''... بسبب كوني أنا الحياة بالطَّبيعة، قد ربطتُكم من خلالي بالله الآب، الذي هو نفسه الحياة بالطَّبيعة. وبهذا جعلتكم كشركاء ومشتركين في صفة عدم الفساد التي له ... **قد جعلتكم شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة، لَّما وضعتُ روحي فيكم**''. فإنَّ المسيح فينا بواسطة الرُّوح القُدُس، وقد استرجع ما هو فاسد إلى عدم فساد، وغيَّره من الموت إلى عدم موت ... لأنه **حينما أرسل الله روحَه وجعلنا شركاءَ طبيعته، وبه جدَّد وجه الأرض** (مز١٠٤: ٣٠)؛ **فقد تغيَّرنا إلى جدَّة الحياة، ناقضين الفسادَ النَّابع من الخطيئة، ومتقبِّلين فيما بعد الحياة الأبديَّة، بنعمة ربِّنا يسوع المسيح وبمحبَّته للبشر**] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٤: ٢٠).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[**فمع أنَّ الابن لا يحوِّل أحداً قط من المخلوقين إلى طبيعة لاهوته الخاص – لأنَّ هذا مستحيل – إلاَّ أنَّ سماتَه الرُّوحيَّة، ترتسم بنوعٍ ما في الذين صاروا شركاء طبيعته الإلهيَّة بقبول الرُّوح القُدُس.** وبهاءُ لاهوته غيرِ المفحوص، يُضيء مثلَ البرق في نفوس القدِّيسين] (ضدَّ نسطور ٣: ٢).

• ومن ثمَّ، فلا يقصد الآباء في شرحهم لقول الكتاب المقدَّس بأننا «شركاءُ الطَّبيعة الإلهيَّة» هو خروجُنا عن حدود طبيعتنا البشريَّة المخلوقة، فنتحوَّل إلى طبيعة الله، حاشا. ولكنَّنا بالرُّوح القُدُس الذي سكن فينا بالمعموديَّة، ننال انسكاباً حقيقياً من حياة الله نفسه في داخلنا، كقول المسيح له المجد مخاطباً الله الآب: «أنا فيهم»، وأيضاً: «لأنَّ محبَّة الله قد انسكبت

١٤– ضد الأريوسيِّين ٥٩:٢

١٥– من الفعل γένομαι أي يصير.

١٦– من الفعل δέχομαι أي يتقبَّل = to recieve . وأمَّا كلمة δεκτικὸν وأصلها δεκτικὸς فهي هنا مفعول به بمعنى: capaple of recieving أي: ''قادراً على تقبُّل''.

Cf. Liddell and Scott, *s.v.*

١٧– ضد الأريوسيِّين ٤٧:١ *NPNF*. 333

١٨– رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ٢٣:١

في قلوبنا بالرُّوح القُدُس المعطى لنا» (رومية ٥:٥). وذلك من أجل تجديد خلقتنا، كقول بولس الرَّسول: «سيغيِّر شكل جسد تواضعنا، **ليكون على صورة جسد مجده**» (فيلبي ٣:٢١). وهي الغاية النِّهائيَّة التي من أجلها جاء ابنُ الله إلينا على الأرض.

يقول الكتاب المقدَّس:

«ولَّما حضر يوم الخمسين ... **امتلأ الجميع من الرُّوح القُدُس**» (أعمال ٢:١-٤)

«ولَّما قال هذا، نفخ وقال لهم: **اقبلوا الرُّوح القُدُس**» (يوحنَّا ٢٠:٢٢).

«... فلما ابتدأت أتكلَّم، **حلَّ الرُّوح القُدُس عليهم** كما علينا أيضاً في البداءة ... فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسويَّة مؤمنين بالرَّب يسوع، فمن أنا. أقادرٌ أن أمنع الله؟» (أعمال ١١:١٥-١٧).

«**أمَّا تعلمون أنكم هيكلُ الله، وروحُ الله يسكن فيكم؟**» (١كورنثوس ٣:١٦).

«خذوا كُلوا هذا هو جسدي ... خذوا اشربوا هذا هو دمي» (متى ٢٦:٢٦).

«فإنه فيه (أي في المسيح) يحلُّ كلُّ ملء اللاَّهوت جسدياً، **وأنتم مملوؤون فيه**» (كولوسي ٢:٩-١٠).

«حينئذ **يضيء الأبرار كالشَّمس** في ملكوت أبيهم» (متى ١٣:٤٣).

«سيغيِّر شكل جسد تواضعنا، **ليكون على صورة جسد مجده**» (فيلبي ٣:٢١).

«لكي تمتلئوا إلى **كلِّ ملء الله**» (أفسس ٣:١٩).

«**سنكون مثله، لأننا سنراه كما هو**» (١يوحنا ٣:٢).

«ونحن جميعاً ناظرين مجد الرَّب بوجه مكشوف، كما في مرآة، **نتغيَّر إلى تلك الصُّورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرَّب الرُّوح**» (٢كورنثوس ٣:١٨).

عظة للقدِّيس أنبا مقار، يقول فيها:

[كما أنَّ جسد الرَّب تمجَّد لَّما صعد إلى الجبل وتجلَّى بالمجد الإلهي وبالنُّور اللاَّنهائي، هكذا أيضاً أجساد القدِّيسين ستتمجَّد وتُضيء كالبرق. **فكما أنَّ مجدَ المسيح الكائن داخلِه قد امتد إلى جسدِه أيضاً وجعله يُضيء، هكذا أيضاً سيحدثُ بالمثل للقدِّيسين، أنَّ قوَّة المسيح الكائنة داخلَهم، ستمتدُ في ذلك اليوم إلى الخارج، وتفيض على أجسادهم**. فإنهم منذ الآن ينالون شركة في أذهانهم من جوهره وطبيعته. فإنه مكتوب: «إنَّ المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد» (عبرانيِّين ٢:١١). وأيضاً: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني» (يوحنَّا ١٧:٢٢). فكمَّا أنَّ مصابيح كثيرة توقد جميعاً من نار واحدة، **هكذا أيضاً بالضَّرورة لابد أنَّ أجساد القدِّيسين – التي هي أعضاء المسيح – تصيرُ على حال المسيح نفسه**] (العظة ١٥:٣٨).

ويقول القدِّيس أنبا مقار الكبير أيضاً:

[**كما أنَّ النَّفْسَ هي حياةُ الجسد في العالم، كذلك فإنَّ روحَ الله هو حياةُ النَّفْس في العالم الأبدي السَّماوي** ... لذلك يجب على من يطلب الإيمان والاقتراب إلى الرَّب، أن يلتمس نوال الرُّوح الإلهي منذ الآن، لأنه هو حياة النَّفْس! **ولهذه الغاية أكمل الرَّب مجيئه ليمنح النَّفْس روحه القدُّوس منذ الآن، حياةً لها ... فإن كان أحدٌ لا يطلب منذ الآن وينال نور الرُّوح الإلهي، حياةً لنفسه، فإنه عند خروجه من الجسد يُطرح على اليسار في مواضع الظُّلمة، ولا يدخل ملكوت السَّموات** ... وأمَّا النَّفس التي تسلك في نار الرُّوح القُدُس وفي النُّور الإلهي، فإنها لا تُصاب بضرر من الأرواح الشِّريرة؛ بل إذا ما اقترب أحدهم منها، فإنه يحترق من النَّار السَّماوية التي للرُّوح] (العظة ٣٠:٥، ٦).

• يقول الرَّب: «جئتُ لأُلقي ناراً على الأرض، وكنتُ أودُّ أن تضطرم منذ الآن» (لوقا ١٢:٤٩). وعند القدِّيس مقاريوس الكبير، وغيره من آباء الكنيسة، أنَّ هذه النَّار هي نار الرُّوح القُدُس، النَّار الإلهيَّة غير الماديَّة، التي تُضيء النُّفوس، وتمحِّصها كالذَّهب عديم الغش في الأتون، وتحرق الشُّرور التي فيها، كما يحترق الشَّوك والقش. لأنَّ «إلهَنا نارٌ آكلة» (عبرانيِّين ١٢:٢٩). ويستطرد أنبا مقار بقوله:

[هذه هي النَّار العاملة في الرُّسُل حتى تكلَّموا بألسنة ناريَّة، وهي النَّار التي أضاءت حول بولس لَمَّا أتاه الصَّوت، **فأنارت عقله** بينما أظلمت بصره المادي ... هذه هي النَّار التي ظهرت لموسى في العليقة، وهي النَّار التي رفعت إيليَّا من الأرض بشبه مركبة ناريَّة ... هذه هي النَّار التي ألهبت قلب كليوباس ورفيقه، لَمَّا كان المخلِّص يتحدَّث معهما بعد قيامته. كما أنَّ الملائكة والأرواح الخادمة يشتركون أيضاً في لهيب هذه النَّار بحسب المكتوب: «الصَّانع ملائكته أرواحاً، وخدَّامه لهيب نار» (عبرانيين ١:٧) ... لذلك فهي **نار كاسحة للشياطين ومستأصلة للخطيئة. إنها قوَّة للقيامة وقدرة لعدم الموت، واستنارة لنفوس القدِّيسين. فلنُصلِّ** إذاً، لكي تُدركنا نحن أيضاً هذه النَّار!] (عظة ٢٥:٩، ١٠).

ويقول أنبا آموناس تلميذ أنبا أنطونيوس:

[**ارفعوا أفكارَكم إلى السَّماء في الليل والنَّهار، واطلبوا من كلِّ قلوبكم هذا الرُّوح النَّاري، وهو يُعطى لكم؛ وانظروا لئلا تأتي على قلوبكم أفكارُ شكٍّ قائلة: مَنْ يستطيع أن يقبل ذلك؟ لا تدعوا هذه الأفكار تتسلَّط عليكم، بل اطلبوا باستقامة وأنتم تقبلونه.** وأنا أيضاً أبوكم أطلب من أجلكم لكي تقبلوه ... ومتى قبلتموه فهو يكشف لكم أسرار السَّماء، لأنه يُعلن لكم أموراً كثيرة لا أستطيع أن أكتبها على ورق. وحينئذ لا تخافون من أيِّ أمر مخيف، بل يسودكم فرحٌ سماوي، وهكذا تكونون وأنتم ما زلتم في الجسد، كمَنْ انتقل إلى الملكوت] (الرِّسالة الرَّابعة بحسب النُّسخة اليونانيَّة، وهي تقابل الرِّسالة الثَّامنة لأنبا أنطونيوس في النُّسخة العربيَّة).

وختام الأمر كلِّه، هو في قول القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

[**بسبب فرط عطاياه صرنا لا نُصدِّق إحسانه!**][19].

ومن ثمَّ، فإنه لا توجد حدود لعطايا الرَّب، ولكن الأمر يتعلَّق بإمكانيَّة واستعداد وقُدرة قبولنا لها.

(٢) لكي يأخذ الذي لنا ويعطينا الذي له

أخذ موتنا، وأعطانا حياته. أخذ جسدنا، وأعطانا روحه القدُّوس.

يقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كما أنَّ عظمتَه تفوق الحدود، هكذا صلاحه أيضاً لا يُنطَق به. وبسبب هذا الصَّلاح الفائق جعل نفسه منظوراً، **لكي يبث الحياة في الذين يرونه. ذلك لأنه يستحيل أن يحيا أحد بدون الحياة، وجوهر الحياة كائن في الشركة مع الله، والشركة مع الله هي في رؤية الله وتذوُّق صلاحه**] (ضدَّ الهرطقات ٤:٢٠:٥، ٦).

«ذوقوا وانظروا ما أطيب الرَّب» (مزمور ٣٤:٨).

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[صار الكلمة جسداً بدون أن يتحوَّل إلى ما لم يكن من قبل، وبدون أن يفقد كيانه ككلمة الله، ولكنَّه وُلد بالجسد من امرأة واقتنى لنفسه ذلك الجسد المأخوذ منها، **وذلك لكي يغرس نفسه فينا باتحاد غير مفترق** ... إذاً، فاللُّوغُس لَمَّا وحَّد بنفسه ذلك الجسد الذي كان فيما سبق خاضعاً للموت، **فلكونه هو نفسه الإله والحياة قد أعتق هذا الجسد من الفساد، بل وجعله أيضاً جسداً محيياً** ... إذاً فحينما نأكل جسد المسيح مخلِّصنا، كلِّنا ونشرب دمه الكريم، **فإننا نقتني الحياة داخلنا ونصير بنوعٍ ما واحداً معه. بل ونسكن فيه ونقتنيه هو أيضاً داخلنا**] (تفسير لوقا ٢٢:١٩).

ويقول القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي:

[وكما أننا مُتنا في آدم، هكذا في المسيح سنُحيا، إذ نولَد معه ونُصلب معه ونُدفن معه ونقوم معه ثانية ...

19- *PG* 31, 1472-1473.

هكذا نُعيِّد، ... ليس بطريقة عالمية، بل بما يفوق العالم، ليس بالخليقة الأولى، بل **بتجديد الخليقة ... ما أكثر الأعياد، ولكن غايتها جميعاً واحدة، هي كمالي، وإعادة خلقتي من جديد**، إلى آدم الأصيل ...][٢٠].

ويقول القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي أيضاً:

[**لقد أخذ منَّا الأردأ لكي يُعطينا الأفضل**. لقد افتقر لكي نغتني نحن بفقره (٢كورنثوس ٨:٩). لقد أخذ شكل العبد لكي نستعيد نحن الحريَّة. نزل لكي نرتفع نحن، صار مجرَّباً لكي ننتصر نحن (في التَّجارب). أُهين لكي يُمجِّدنا، مات لكي يُخلِّصنا، صعد لكي يجذبنا إليه نحن المنطرحين في سقطة الخطيئة. ليت كلُّ واحد يقدِّم له كلَّ شيء، ويصير مثمراً في كلِّ شيء، للذي بذل نفسه فديةً عنَّا من أجل مصالحتنا! **لكن ليس أحدٌ يقدِّم شيئاً مثل من يقدِّم نفسه** وله دراية بسرِّ (المسيح)، فيصير من أجله، كلَّ ما صار هو من أجلنا!] (عظة أولى عن القيامة).

(٣) ليصير الإنسان ابناً لله

يقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كيف كان يمكن للإنسان أن يذهب إلى الله، لو لم يكن الله قد جاء أولاً إلى الإنسان؟ وكيف كان يمكن للبشر أن ينعتقوا من ميلادهم الأوَّل المؤدِّي إلى الموت، لو لم يولدوا من جديد بالإيمان بذلك الميلاد الجديد الإعجازي المُعطَى من الله كآية للخلاص ... بل، **وكيف كان يمكن أن ينالوا التبنِّي لله وهم باقون في ميلادهم الأوَّل الذي بحسب البشر في هذا العالم؟** ... من أجل ذلك **صار الكلمة إنساناً، وصار ابنُ الله ابناً للإنسان؛ لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة، فينال التبنِّي ويصير ابناً لله**. فإننا لم نكن نستطيع بوسيلة أُخرى أن نحصل على عدم الفساد والخلود، إلاَّ باتحادنا بالذي هو عدم الفساد والخلود. وكيف كان يمكن أن نتَّحد بالذي هو عدم الفساد والخلود، لو لم يكن هو نفسه أولاً قد صار على حالنا، **حتى يُبتلع الفاسد من عدم الفساد، ويُبتلع المائت من عدم الموت، فننال التبنِّي؟!**] (ضد الهرطقات ٤:٣٣:٤، ٣:١٩:١).

ويقول القدِّيس إيريناؤس أيضاً:

[إن المسيح ... قد ألَّف ووحَّد الإنسان مع الله، لأنه لو **لم يكن الإنسان قد اتَّحد بالله، لما استطاع أبداً أن يشترك في الخلود**. لذلك كان ينبغي أنَّ **الوسيط بين الله والنَّاس، بسبب انتسابه لكلٍّ منهما، يُعيد بينهما الأُلفة والتَّوافق**. حتى أنَّ الله يقبل إليه الإنسان، والإنسان يقدِّم نفسه لله.

فبأية وسيلة كان يمكننا أن ننال التبنِّي لله، إلاَّ بأن نحصل بواسطة الابن على الشَّركة مع الله، وذلك بأن يصير كلمة الله مشاركاً لنا، بأن يصير جسداً؟! ... فيسترجع للجميع الشَّركة مع الله] (ضد الهرطقات ٣:١٨:٧).

ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧- ٤٠٧م):

[**مع كونه ابناً خاصاً للإله غير المبتدئ، قد احتمل أن يُدعى ابناً لداود، لكي يجعلك أنت ابناً لله**. لقد احتمل أن يصير العبد (داود) أباً له، لكي يجعل السيد الرب أباً لك أيها العبد ... فحينما تسمع أنَّ ابنَ الله هو ابنُ داود بن إبراهيم، تيقَّن أنك أنت يا ابن آدم ستصير ابناً لله. **فليس جزافاً أو باطلاً قد وضع نفسه إلى هذا الحد، إلاَّ لأنه كان ينوي أن يرفعنا معه إلى فوق!** فإنه قد وُلد بحسب الجسد لكي تولَد أنت بحسب الرُّوح ... فكما إذا وقف أحد بين شخصَين منفصلَين، ومدَّ يديه من النَّاحيتَين لكي يوحِّدهما معاً؛ هكذا فعل هو، ليوحِّد العهد القديم بالجديد، **والطَّبيعة الإلهيَّة بالبشريَّة، والذي له بالذي لنا!**] (شرح متى ١: ١ - عظة ٢: ٣).

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[الذي كان قبل الدُّهور إلهاً، ومولوداً من الله يقول (الآب) عنه إنه قد ولده اليوم، **لكي يقبلنا نحن فيه في**

٢٠- عظة ٣٨ على الميلاد. *PG* 36, 313-332.

التَّبني، لأنَّ البشريَّة كلَّها كانت في المسيح، من حيث إنه كان إنساناً] (تفسير يوحنَّا ٣٩:٧).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[الذي هو ابنٌ بحسب الطَّبيعة، قد صار مُشابهاً لنا وأخذ شكل العبد (فيلبي ٢: ٧). ليس لكي يدوم معنا في حال العبوديَّة، بل لكي يحرِّرنا (يوحنَّا ٨: ٣٦) نحن المربوطين بنير العبوديَّة، ويُغنينا بالأشياء التي له. **فإننا به ومعه قد دُعينا أبناءً** (لله)، لأنه اشترك في فقرنا وهو غني، لكي يرفع طبيعة الإنسان إلى غناه الخاص به (١كورنثوس ٨: ٩) ...][٢١].

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[إذا ما سمع (الابن) هذه الكلمات الموجَّهة له بكلِّ كيانه، بما فيه الجسد: «اجلس عن يميني» (مزمور ١٠٩: ١)؛ يُوصِّل مجد التبنِّي إلى عموم الجنس (البشري) ... لقد ظهر الآن كإنسان أمام الآب لأجلنا، نحن الذين كنَّا مطروحين من أمام وجهه بسبب المعصية الأولى، ليوقفنا من جديد أمام وجه الآب؛ **وجلس كابن ليجعلنا نحن أيضاً نُدعَى بسببه أبناءً وأولاداً لله**. لذلك فالقدِّيس بولس الذي يؤكِّد أنَّ المسيح هو المتكلِّم فيه، يُعلِّمنا أنَّ **ما حدث للرَّب خاصةً، صار ملكاً مشترَكاً للطَّبيعة البشريَّة**، فيقول إنَّ الله «أقامنا معه وأجلسنا معه في السَّماويَّات» (أفسس ٦:٢)] (تفسير إنجيل يوحنا ١٤: ٢ و ٣).

(٤) ليجمع كلَّ شيء في نفسه، ويصير الجميع واحداً في المسيح

يقول القدِّيس إيريناؤس:

[يوجد إلهٌ واحد، هو الله الآب. ومسيحٌ واحد، هو ربُّنا يسوع، الذي جاء بحسب التَّدبير الشَّامل، **لكي يجمع كلَّ الأشياء في نفسه** (أفسس ١: ١٠)، **ومن ضمنها الإنسان الذي هو خليقة الله**. فقد جمع الإنسان أيضاً إلى نفسه ... حتى كما أنَّ كلمة الله هو الأوَّل بين السَّمائيِّين الرُّوحيِّين غير المنظورين، هكذا يصير هو أيضاً الأوَّل بين المنظورين والجسديِّين، **وبأخذه هذه الأولويَّة يجعل نفسه رأساً للكنيسة** (أفسس ١: ٢٢)، حتى يجتذب إلى نفسه كلَّ شيء (يوحنَّا ١٢: ٣٢)] (ضد الهرطقات ٣: ١٦: ٦)[٢٢].

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[لقد أخذ لنفسه **جسداً بشرياً مخلوقاً**، لكي يجدِّدَه بصفته هو الخالق، **فيوحِّدَه في نفسه. وبذلك يقودنا نحن جميعاً إلى ملكوت السَّموات، بمشابهة ذلك الجسد**][٢٣].

ويقول القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

[**الله ظهر في الجسد ... وجمع في نفسه البشرية كلَّها بواسطة جسده الذي كان مساوياً لأجسادنا** ... فاعلم إذاً السِّر. من أجل ذلك، جاء الله في الجسد، لكي يقتل الموت المتخفِّي في أعماقنا. فقد ملك الموت حتى مجيء المسيح (رومية ٥: ١٤)، ولكن لمَّا ظهرت نعمة الله المخلِّصة (تيطس ٢: ١١)، وأشرق «شمس البر» (ملاخي ٤: ٢)، ابتُلِع الموت إلى غلبة (١كورنثوس ١٥: ٥٤)؛ إذ لم يحتمل التَّواجُد أمام الحياة الحقيقيَّة.

فيا لعُمق صلاح الله ومحبَّته للبشر! **لماذا يتباحث النَّاس في كيفيَّة مجيء الله بين البشر، بينما كان الأجدر بهم أن يسجدوا أمام صلاحه؟!**][٢٤].

ويقول القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي (٣٢٩-٣٨٩م):

٢١- شرح إنجيل لوقا ٢٣:١٠

٢٢- سبق ذكر جزء من هذا القَول، تحت بند "بكر كل خليقة".

٢٣- ضد الأريوسيِّين ٧٠:٢

24- *PG* 31, 1460-1461.

[ينبغي أن أُدفَن مع المسيح وأقوم معه، أن أرث معه وأصير ابناً لله، بل وأصير متَّحداً بالله نفسه! هذه هي غاية السِّر الأعظم من نحونا. هذا هو ما يريده لنا الإله الذي تأنَّس وافتقر من أجلنا، **لكي يُقيم الجسد ويفتدي الصُّورة، ويُجدِّد خلقة الإنسان، لكي نصير نحن جميعاً واحداً في المسيح** (غلاطية ٣: ٢٨)، الذي قد صار بالتَّمام «الكُل في الكُل» (كولوسي ٣: ١١) فينا جميعاً بكلِّ كيانه، حتى لا يكون فينا فيما بعد ذكرٌ ولا أُنثى (غلاطية ٣: ٢٨)، بربري، سكِّيثي، عبدٌ، حرٌّ (كولوسي ٣: ١١) التي كلُّها صفات الجسد، بل لا نعود فيما بعد نحمل في ذواتنا إلاَّ **الشَّكل الإلهي، الذي به وله قد خُلِقنا**، بل وتشكَّلنا وتطبَّعنا، لدرجة أننا لا نعود فيما بعد نُعرَف إلا بهذا الشَّكل وحده][٢٥].

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[**الله الآب قد سُرَّ أن يجمع فيه الجميع** (أفسس ١: ١٠)، ويربط معاً العُلويِّين مع السُّفليِّين، ويجعل الذين في السَّماء مع الذين على الأرض قطيعاً واحداً. فالمسيح قد صار لنا سلاماً ومسرَّة] (تفسير إنجيل لوقا ٢:١٨).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[لقد حلَّ الكلمة في الجميع بحلوله في هيكل جسده الواحد المأخوذ منا ولأجلنا، **حتى يقتني الجميع في نفسه، فيُصالح الكُل في جسد واحد مع الآب، كما قال بولس** (أفسس ٢: ١٦)] (شرح إنجيل يوحنَّا ١٤:١).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[الشيطان ... بعثرنا وأضلَّ الإنسان بطُرُق شتَّى عن قُربه لله. **وأمَّا المسيح، فقد جمعنا كلَّنا من جديد، وضمَّنا معاً بالإيمان إلى حظيرة الكنيسة الواحدة** ... فصار الجميع واحداً ... مخلوقين من جديد «إلى إنسان واحد جديد» (أفسس ٢: ١٥) وعابدين إلهاً واحداً] (تفسير إنجيل يوحنا ١١: ٤٩-٥٢).

(٥) لتنتقل إلينا نُصرته على الشيطان الذي كان سبب سقوطنا

يقول البابا أثناسيوس تعقيباً على صَوم الرَّب وتجربته على الجبل:

[لم يتركنا الرَّب نُغوَى من الشيطان، لأنه لما قدَّم (الشيطان) إليه مثل هذه الخداعات، انتهره قائلاً: «اذهب خلفي يا شيطان، لأنه مكتوب للرَّب إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠، لوقا ٤: ٨). ولذلك فبالأكثر جداً ينبغي أن يصير المُضِل مُحتَقراً أمامنا، **لأنَّ ما قاله الرَّب (للشيطان)، إنما قد فعله من أجلنا حتى إذا ما سمعت الشياطين منَّا كلمات مماثلة، تكون مُضطرة على الهروب من قِبَلِ الرَّب الذي انتهرها بهذه الكلمات**][٢٦].

ويقول أيضاً، شارحاً أنَّ قوَّة المسيح على الشيطان تنتقل منه إلى جميع النَّاس:

[حيث أنَّ الإنسان الأوَّل آدم **قد تغيَّر** (إلى الفساد)، وبالخطيئة دخل الموت إلى العالم، لذلك كان يليق بآدم الثَّاني أن يكون **عديم التَّغيير**، حتى إذا ما هجمت الحيَّة مرة أُخرى، تكون **غوايتها** في منتهى الضَّعف، بل وتصير الحيَّة ضعيفة أيضاً في هجومها على الجميع، **بسبب أنَّ الرب غير قابل للتَّغيير أو التَّحوُّل**. فكما أنه لَمَّا أخطأ آدم امتدت الخطيئة إلى جميع النَّاس، هكذا أيضاً لَمَّا صار الرَّب إنساناً ورفس الحيَّة، فإنَّ مثل هذه القوَّة تنتقل منه إلى جميع النَّاس، حتى يستطيع كلٌ منَّا أن يقول (عن الشيطان): «لأننا لا نجهل أفكاره» (٢كورنثوس ٢: ١١)][٢٧].

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[كَتَب يوحنا: «من أجل ذلك أُظْهِرَ ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١يوحنَّا ٣: ٨). فلما نُقضت أعمال

٢٥- عظة ٧:٢٣. *NPNF* 2nd Ser. Vol. VII, p. 237.

٢٦- حياة أنطونيوس ٣٧

٢٧- ضد الأريوسيِّين ١:٥١

إبليس من الجسد، حينئذ تحرَّرنا جميعاً هكذا بسبب قرابتنا مع جسده، وصرنا منذ ذلك الوقت مرتبطين نحن أيضاً بالكلمة. والآن، بعد أن صرنا مرتبطين بالله، لا نعود فيما بعد نمكث على الأرض، بل كما قال هو نفسه، حيث يكون هو هناك نكون نحن أيضاً (يوحنَّا ١٤: ٣؛ ١٧: ٢٤)] (ضد الأريوسيِّين ٢:٦٩).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[نحن الذين سقطنا وانغلبنا في القديم، قد قوَينا وغَلبنا بسبب ذاك الذي غَلب من أجلنا وبصفته أيضاً واحداً منَّا. فإنه **لو كان قد غَلب كإله (غير متجسِّد) لما ربحنا شيئاً من ذلك، وأمَّا وهو قد غَلب كإنسانٍ، فنحن فيه الغالبون**] (تفسير إنجيل يوحنا ١٦).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[لقد رأينا الشيطان ساقطاً، ذلك الجبَّار رأيناه مذلولاً. ذلك الذي كان مسجوداً له، رأيناه بلا كرامة. ذلك الذي حاول أن يختطف الألوهة رأيناه تحت أقدام القدِّيسين؛ إذ أنهم أخذوا سُلطاناً أن ينتهروا الأرواح النَّجسة (مت ١٠: ١). **وهذا امتياز فائق لطبيعة البشر، وخاص بالله وحده الفائق الكُل**. وقد صار الكلمة الظَّاهر في الشَّكل البشري بدءًا لنا في هذه أيضاً، إذ كان ينتهر الأرواح النَّجسة][٢٨].

(٦) لكي يشفي الإنسان من أوجاع الجسد التي قادته إلى الخطيئة

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[لو **لم تكن الضَّعفات الخاصة بالجسد قد نُسبت للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرَّر منها بالتَّمام، بل حتى ولو توقَّفت إلى حين – كما قلتُ – كانت ستبقى الخطيئة والفساد فيه، كما كانت في البشر السَّابقين** (قبل التَّجسُّد)...

وأمَّا الآن وقد صار الكلمة إنساناً، **وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به**، فلم تَعُدْ تلك الأمور ماسكةً في الجسد، بسبب الكلمة الذي جاء في الجسد، بل صارت تُستأصل بواسطته. **والبشر لا يعودون فيما بعد خطاةً ومائتين بحسب أوجاعهم الخاصة**، ولكنَّهم يقومون بقوة اللُّوغوس، ويبقون إلى الأبد غير مائتين وعديمي الفساد!][٢٩].

ويقول الأنبا أنطونيوس:

[**إنَّ آباءنا الرُّوحانيِّين لمَّا نظروا أنَّ هذا المرض (الخطيئة) ليس له شفاء، علموا أن لا أحد من هذه الخليقة يقدر أن يشفيه ما خلا وحيد الآب وحده، الذي هو صورة أزليَّته، الذي به كانت كلُّ الخليقة التي هي مثاله، وتحقَّقوا أنه هو المُخلِّص والطبَّيب**] (الرِّسالة ٢:٢).

ويقول الأنبا أنطونيوس أيضاً:

[جميع هؤلاء اللاَّبسين الرُّوح، عَلِموا أنه **لا يستطيع أحد من الخليقة أن يشفي جُرحاً عظيماً بهذا المقدار، إلاَّ صلاحُ الابن وحده**، الذي هو وحيد الآب الذي أرسله خلاصاً لجميع المسكونة، إذ هو الطَّبيب العظيم الذي يمكنه أن يشفي هذا الجُرح المتزايد] (الرِّسالة ٣:٢).

ويقول الأنبا أنطونيوس أيضاً:

[إننا نعلم كيف سقطت الطَّبيعة الجوهريَّة من علوِّها إلى قاع الفضيحة والذلَّة، وكيف افتقدها الإله الرَّحوم بناموسه، على يدى موسى والأنبياء. وفي الآخر، كان ذلك بابنه الوحيد، الذي هو رئيسُ أحبارنا العظيم، **وطبيبُنا الحقيقي، الذي يمكنه شفاء أوجاعنا**. فاتَّخذ جسدنا، وأسلم ذاته عنَّا وعن خطايانا] (الرِّسالة ٢:٦).

٢٨– شرح إنجيل لوقا ١٠:٢٤

٢٩– ضد الأريوسيِّين ٣:٣٣

(٧) ليُخلِّص الإنسان بكُلِّيته

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[**إن كلمة الله قد وحَّد بنفسه طبيعة الإنسان بشمولها لكي يخلِّص الإنسان بكُلِّيته. فإنَّ ما لا يأخذه منَّا، لا يمكن أن يُخلِّصه**] (تفسير إنجيل يوحنا ١٢: ٢٧).

رابعاً: اتحاد اللاَّهوت بالنَّاسوت في شخص السيِّد المسيح

- ''أعترفُ إلى النَّفَس الأخير، أنَّ هذا **الجسد المحيي** الذي ابُنك الوحيد ربُّنا وإلهُنا ومخلِّصُنا يسوعُ المسيح، أخذه من سيِّدتنا ملكتنا كلِّنا والدة الإله القدِّيسة الطَّاهرة مريم، و**جعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير** ... بالحقيقة أؤمن أن **لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين**''.

صلوات القسمة .....

- ''هذا هو **الجسد الذي أخذه من سيِّدتنا وملكتنا كلِّنا، القدِّيسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته**''.
- ''هكذا بالحقيقة تألَّم كلمة الله بالجسد، وذُبح، وانحنى بالصَّليب، وانفصلت نفسه عن جسده، إذ **لاهوته لم ينفصل قط، لا من نفسه ولا من جسده**''.
- ''**واحدٌ هو عمانوئيل وغير مفترق من بعد الاتحاد، وغير منقسم إلى طبيعتَين**. هكذا نؤمن وهكذا نعترف وهكذا نُصدِّق، أنَّ هذا الجسد لهذا الدَّم، وهذا الدَّم لهذا الجسد''.

* * *

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) :

[قد صار مثل هذا الاتحاد (بين اللاَّهوت والنَّاسوت) لكي يوحِّد بالذي له طبيعة اللاَّهوت، ذاك الذي بطبيعته مجرَّد إنسان، فيصير خلاصه ... مضموناً][٣٠].

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[كلُّ أعمال الجسد ليست من صفات اللاَّهوت ... لكن لم تكن أعمال الجسد تتم بدون اللاَّهوت أو أعمال اللاَّهوت تتم بدون الجسد، بل على العكس **كلُّ أعماله صنعها الرَّب الواحد**، الذي أكمل كلَّ شيء في سرِّ نعمته. وعلى سبيل المثال، بصق على الأرض كما يبصق كلَّ الناس. لكن لُعابه وحده، كان فيه قوَّة إلهيَّة لأنه وهب به البصر لعيني المولود الأعمى (يوحنا ٩ : ٦). ورغم أنه الاله إلاَّ أنه تكلَّم بلغة بشريَّة وقال «أنا والآب واحد» (يوحنَّا ١٠ : ٣٠). وبإرادته منح الشِّفاء (متى ٨ : ٣)، ولكن عندما مدَّ يده الإنسانيَّة، أقام حماة سمعان بطرس من الحُمَّى (مرقس ١ : ٣١)، وبنفس اليد أقام من الموت ابنة رئيس المجمع (مرقس ٥ : ٤) ... المؤمن الذي يتبع تعليم الرُّسُل، يعرف غنى الرَّب ومحبته للبشر. وعندما يرى أعماله العجيبة الإلهيَّة يمجِّد الرَّب الذي ظهر في الجسد. وعندما يرى أعمال الجسد يتعجَّب ويرى فيها القوَّة الإلهيَّة التي تعمل .. **هذا هو إيمان الكنيسة**][٣١].

يقول القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي (٣٢٩-٣٨٩م) :

[يا له من اتحاد من نوع جديد! يا له من التحام إعجازي! الكائن بذاته قد صار جسداً. غير المخلوق يجعل نفسه مخلوقاً. غير المحوَى يصير محوياً. وذلك بتوسُّط نفس عاقلة تتوسط بين لاهوته وكثافة الجسد. الذي يُغني الجميع يجعل نفسه مفتقراً، فقد افتقر بأخذ جسدي لكي أغتني أنا بلاهوته. الذي هو ''الملء'' قد أفرغ نفسه من

٣٠- ضد الأريوسيِّين ٢:٧٠

٣١- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١٤:٤، ١٥

مجده إلى حين، لكي يجعلني أنا شريكاً في ملئه. فما أغنى صلاحه، وما أعظم هذا السِّر الذي صنعه لأجلي!][٣٢].

يقول القدِّيس كيرلُّس الكبير:

[الابن الوحيد الذي أشرق علينا من نفس جوهر الله الآب، والذي له في صميم طبيعته، الآب الذي وَلَدَهُ، قد صار جسداً بحسب الكُتُب، **ومزج نفسَه بنوعٍ ما بطبيعتنا، متحداً بهذا الجسد الأرضي اتحاداً لا يُنطَق به**. وهكذا الذي هو إله بطبعه، قد دُعيَ وصار بالحقيقة إنساناً سماوياً، **لكي يوحِّد بنوعٍ ما في نفسه، الشَّيئَين المفترقَين جداً عن بعضهما البعض بحسب الطَّبيعة**، والمتباعدَين جداً عن أيِّ تجانس بينهما (أي اللاَّهوت والنَّاسوت)، حتى يرفع بذلك، الإنسان إلى مشاركة الطَّبيعة الإلهيَّة. فقد وصلت إلينا نحن أيضاً شركة الرُّوح القُدُس وحلوله، وقد ابتدأت بالمسيح وفي المسيح أولاً لمَّا صار مثلنا، أي إنساناً، ومُسح وقدَّس نفسه، مع كونه إلهاً بطبعه ... **إذاً فالسِّر الحاصل في المسيح قد صار لنا مثل بدايةٍ وطريقٍ لاشتراكنا في الرُّوح القدس ولاتحادنا بالله**] (تفسير إنجيل يوحنَّا ١٧: ٢٠، ٢١).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[لقد كانت وساطة موسى كمجرَّد خدمة يؤدِّيها. أمَّا وساطة المسيح فهي حُرَّة وسرِّية للغاية، لأنه مُمسك بحسب الطَّبيعة بالطَّرفَيْن اللَّذين يتوسَّط بينهما، بل ومتداخِلٌ أيضاً في كلٍّ منهما، أعني البشريَّة التي يتوسَّط لها، والله الآب. **فإنه إله بحسب الطَّبيعة لكونه ابن الله الوحيد**، ولكونه غير منفصل عن جوهر أبيه، بل وماسك بهذا الجوهر، بل ويُعتَبَر من ذات هذا الجوهر؛ **ثم إنه إنسان أيضاً من حيث إنه صار جسداً**، وجعل نفسه مُشابهاً لنا، **لكي يربط بالله – بواسطة نفسه – ما كان منفصلاً جداً عنه بحسب الطَّبيعة**] (تفسير إنجيل يوحنَّا ٥:٤٦).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[يُشبِّه الكتاب المقدَّس الطَّبيعة الإلهية بالنَّار، بسبب قُدرة هذا العنصر الفائقة وتغلُّبه بسهولة على كلِّ شيء. وأمَّا الإنسان التُّرابي فيُشبِّهه بالأشجار وبنبات الحقل. فيقول مرَّة: «إنَّ إلهنا نار آكلة» (عبرانيِّين ١٢: ٢٩)، ومرَّة أخرى: «الإنسان مثل العشب أيامه، كزهر الحقل كذلك يُزهر» (مزمور ١٠٣: ١٥). فكما أنَّ النَّار تكون غير محتمَلة للشَّوك، هكذا أيضاً اللاَّهوت للنَّاسوت. ولكن في المسيح جاء اللاَّهوت وصار محتمَلاً، فإنه «فيه قد حلَّ كلُّ ملء اللاَّهوت جسدياً» (كولوسي ٢: ٩)، كما شهد الحكيم بولس، «والسَّاكن في نورٍ لا يُدنى منه» (١تيموثاوس ٦: ١٦) أي الله أتى وحلَّ في هيكل جسده المأخوذ من العذراء ... لذلك فالنَّار (الَّتي رآها موسى) كانت تُشفق على الشَّوك (العليقة)، ولهيبها صار محتمَلاً للخشب الحقير الضَّعيف، لأنَّ اللاَّهوت صار كما قلتُ ملازماً للنَّاسوت، وهذا هو السِّر الحاصل في المسيح. ولكن فينا نحن أيضاً يسكن كلمة الله، غير مطالبٍ بقصاص، ولا موقِّعٍ علينا عقوبات بل مُشرقاً علينا بقبلاته الحنونة الفائقة الرَّحمة] (جلافيرا (أقوال لامعة) على سفر الخروج).

ويقول القدِّيس كيرلُّس الكبير أيضاً:

[الله الكلمة ... يُعتبر ابناً واحداً من اثنين، إذ قد اجتمعت **واتحدت معاً في شخصه الواحد، بطريقة لا توصف ولا تُفحص، الطَّبيعتان الإلهيَّة والبشريَّة، لتُكوِّنا معاً وحدةً بطريقة لا يمكن تصوّرها** ... فهو إله، وهو أيضاً بعينه وبآن واحد إنسان ... فلهذا السَّبب أيضاً هو يُعتبر وسيطاً (بين الله والنَّاس)، لأنَّ الاثنين اللذَين كانا بحسب الطَّبيعة متباعدَين جداً عن بعضهما، إذ كانت تفصل بينهما هوةٌ بلا قياس، أعني اللاَّهوت والنَّاسوت قد أظهرهما مجتمعَين ومتَّحدَين في نفسه، **وبذلك ربطنا بواسطة نفسه مع الله أبيه**] (الحوار الأوَّل في الثَّالوث الأقدس).

٣٢- عظة ٤٥: ٩ *NPNF*, 2nd Ser., Vol. VII, p. 426